

الخصائص

ويدلّك على أن افعول لمّا ضُعِّفت عينه للمعنى انصُرِفَ به عن طريق الإلحاق - تغليباً للمعنى على اللفظ وإعلاماً أنّ قدر المعنى عندهم أعلى وأشرف من قدر اللفظ - أنهم قالوا في افعول من رددت : (اردّوَدّ) ولم يقولوا : اردّوَدّ فيظهروا التضعيف للإلحاق كما أظهروه في باب اسخّذَكَ وَاكْذَبَكَ لَمّا كان للإلحاق باحرنجم واخرنطم ولا تجد في بنات الأربعة نحو احْرَوْجَمْ فيظهروا (افعول) من رددت فيقال (اردّوَدّ) لأنه لا مثال له رباعياً فيلحق هذا به .

فهذا طريق المُثُل واحتياطاتُهم فيها بالصنعة ودلالاتهم منها على الإرادة والبرغية . فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهْجٌ مُتَلَبِّبٌ عند عارفه مأموم . وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبرِّ بها عنها فيعدلونها بها ويحتذّونها عليها . وذلك أكثر ممّا نقدّره وأضعاف ما نستشعره .

من ذلك قولهم : خَضِمَ وقَضِمَ . فالخَضَمُ لأكل الرّطاب كالبيطّيح والقثّاء وما كان نحوهما من المأكول الرطاب . والقَضَمُ للصُّلاب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك . وفي الخبر قد يُدْرِك الخَضَمُ بالقَضَمِ أي قد يدرك الرخاء بالشدة واللين بالشطاف . وعليه قول أبي الدرداء : يخضَمون ونقضم والموعِد □